

مع اشتعال الحرب الظالمة على سورية وتواصلها حتى اليوم، وفي ظل معاناة السوريين من إرهاب الجماعات المسلحة وفكرها التدميري ومعتقداتها التكفيرية الهدامة، انقلبت مفاهيم وتغيرت قيم، وشهدنا كم من شعارات سقطت وظهرت أخرى، وكم من أعراف تهاوت تحت نير الأزمة.

ولعل أحد هذه المفاهيم والأعراف التي اختزنتها الوعي الجمعي للمجتمع قسراً، أن الأم هي منبع الحنان والكائن الضعيف أمام النوائب والملمات، حتى أن تصويرها في الدراما على سبيل المثال لا الحصر، أضحت مقترناً بلغة الدموع والتفجع والتحسس على الأبناء، والإرادة المشلولة المسلوقة أمام إرادة الرجل القوي، في تكريس بغيض بات في زعمنا من حقب الماضي، ودليلاً على تخلف أعمى وجهل مطبق مستحكم!.

ندرك ونسلم بطغيان الحنان المفرط والقلق المشوب بالخوف الدائم لدى المرأة عموماً والأم خصوصاً، غير أننا وبعد ٤ سنوات من الحرب على سورية، صرنا أكثر إيماناً بقدرتها الاستثنائية، ونحن نكتشف أن الأم ليست منبع الحنان والقلب الذي يفيض محبة وحسب، وإنما مصنع الرجولة والمصدر الأول للإرادة والتحدي، وفي تجليها الأسمى قمة البذل والعطاء، وإلا ماذا سنقول في أم تقدم الابن تلو الآخر فداءً للوطن وتزغرد حين يصير شهيداً سوى أنها الصخرة الصلبة التي يستند إليها أبنائها في ساحات معارك الشرف والوجود، وكيف يمكن وصف هذا المزيج الفريد والنادر الذي جسدهته الأم السورية التي جمعت بين الحنان والقوة، بين الأمومة والواجب، بين الحزن لفقدانها أحد أبنائها والدفع بالآخر ليلبي نداء الوطن، وأي كلمات يمكن أن تفي أم جريح حقها وهي التي سهرت عليه وربته صغيراً، وعادت لتساهره كبيراً اليوم تخفيفاً للألم جرحه النازف!؟.

من منا لم يدرك حتى اللحظة أن الأم السورية هي أكثر من عانى في هذه الحرب ودفعت أثمناً باهظة، ومن منا لا يعلم أيضاً أنها الركن الأساسي في قوة الإرادة والمعنويات العالية التي يتمتع بها شباب وشابات يخوضون اليوم أشرس معارك الدفاع عن وجود سورية الموقع والتاريخ والسيادة والحضارة.

ولئن غيرت سورية في صمودها وقوة جيشها وبسالة شعبها وقيادتها خارطة العالم، فإن الأم السورية قد قلبت مفاهيم وقيماً وخلخلت أعرافاً راسخة، وباتت المرأة التي لا تهز سرير ابنها بيدها وحسب، بل ترسم بشجاعته وصبرها صورة الأم الحقيقية في إطارها المأمول والمتوقع.

لقد كرمنا هؤلاء الأمهات اللواتي أصبحن أمهات لكل سوري وسورية، بل للوطن برمته، وأكبر تكريم أنهن مازلن بيننا يستبشرن بالنصر، ويتعالين على الفقد والغياب والجراح، ويرفعن الأكف بالدعاء أن تصير دماء الشهداء قناديل تنير الدرب نحو غد سورية المشرق.

وبمناسبة عيد الأم.. إلى أمي وكل أمهات الوطن، أنشأتنا على الحق ونحن معه إلى أبد الأبدين مهما كان الثمن، فكما كنتن سنكون نحن، ومعكن لا خوف على سورية مادامت الأمهات تمنع أبطالها تملك هذه الإرادة الجبارة والفضولية.

كل عام وأنتن بألف خير..



## الأم الحقيقية

بقلم: فاديا جبريل